جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

المقاربة الفكرية بين المصطلحات والمناهج النقدية القديمة والحديثة: (التناص، توظيف الموروث، البناء على الحكاية، السرقات) قراءة نقدية تحليلية

إعداد

محمود علي عبد الحليم مصطفى

حاصل على دكتوراه اللغة العربية وآدابها: تخصص أدب ونقد ـ جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

الجزء الثالث عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

المقاربة الفكرية بين المصطلحات والمناهج النقدية القديمة والحديثة: (التناص، توظيف الموروث، البناء على الحكاية، السرقات) قراءة نقدية تحليلية

محمود علي عبد الحليم مصطفى

قسم اللغة العربية وآدابها : **تخصص أدب ونقد ـ جمهورية مصر العربية**

البريد الإلكتروني : elquratmym@gmail.com

الملخص

يروم الباحث من خلال هذا البحث الوقوف عند الحدود الفاصلة بين المصطلحات المتداخلة في الحقل النقدي، حيث إن الاتجاهات النقدية الحديثة أطلعتنا على العديد من المصطلحات والنظريات التي تتقارب في أغلبها، وتتداخل في اتجاهاتها التطبيقية لدى الباحثين والدارسين، وقد رغبتُ في التعرض لتردد تلك المصطلحات بين القديم والحديث، ودورانها عبر الزمن في مسار أشبه بالدائرة التي يوصل آخرها إلى أولها.

لذا آثرت أن أعنون هذا البحث بـــ" المقاربة الفكرية بين المصطلحات والمناهج النقدية القديمة والحديثة: (التناص، توظيف الموروث، البناء على الحكاية، السرقات) قراءة نقدية تحليلية"، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتم تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد ومباحث ثلاثة، يعنى التمهيد بالتعريف بمصطلحات البحث، على أن يكون التعريف لغة واصطلاحًا، ويتعرض الباحث في تقسيمات البحث ومباحثه لدراسة أوجه المقاربة والاتفاق والتداخل بين تلك المصطلحات، فالمبحث الأول جاء لدراسة مصطلح التناص وتداخله مع غيره من المصطلحات العربية القديمة والحديثة التي تحمل المضمون ذاته، والمبحث الثاني خصصته لقضية السرقات الشعرية، وتعرضت من خلالها لرؤية النقاد العرب القدامى حولها، وكذلك رؤية النقاد المحدثين لها، وموقفهم منها ومن مضمون التناص والموروث والبناء على الحكاية. والمبحث الثالث جاء عن توظيف الموروث كمعادل موضوعي عربي لمصطلح التناص، وذلك عن طريق القراءة النقدية التحليلية، التي ترتكز على المنهج الوصفي التحليلي، وقد أنهيت البحث بخاتمة عرضت فيها لما توصل إليه البحث من نتائج، وثبت للمصادر والمراجع

الكلمات المفتاحية : التناص، توظيف الموروث، السرقات الشعرية، التداخل، الحكاية.

The intellectual approach between ancient and modern critical terms and approaches: (intertextuality, employment of inheritance, building on the story, thefts) an analytical critical reading

Mahmoud Ali Abdel Halim Mustafa

He holds a PhD in Arabic language and literature: literature and criticism , Egypt .

Email: elquratmym@gmail.com

Abstract

Through this research, the researcher aims to stand at the boundaries between the overlapping terms in the monetary field, as the modern monetary trends informed us of many terms and theories that converge in most of them, and overlap in their applied directions among researchers and scholars, and I wanted to expose the frequency of those terms between the old And talk, and its rotation through time in a path similar to a circle that connects the end of it to the beginning.

Therefore, I chose to title this research with "The Intellectual Approach between Ancient and Modern Critical Terminology and Methods: (Intertextuality, Employment of the Inherited, Building on the Story, Thefts) Analytical Critical Reading." The research contained in the determinants of the title, provided that the definition is language and terminology, and the researcher is exposed in the divisions and investigations of the research to study the aspects of approach, agreement and overlap between those terms.

The first topic came to study the term intertextuality and its overlap with other ancient and modern Arabic terms that carry the same content, and the second topic was devoted to the issue of poetic thefts, through which it was exposed to the vision of the ancient Arab critics around it, as well as the vision of modern critics of it, and their position on it and the content of intertextuality, inheritance and building on the story . And the third topic came about employing the inherited as an objective Arabic equivalent of the term intertextuality, through critical and analytical reading, which is based on the descriptive analytical approach, and I ended the research with a conclusion and proven sources and references.

Keywords: intertextuality, employing the inheritance, poetic thefts, overlap, the story .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

عجَّت المصنفات النقدية العربية القديمة بقضية السرقات الشعرية، وأطنب النقاد في الوقوف عن محدداتها وأنواعها، والحسن منها والقبيح، ونلتقي في العصر الحديث بمصطلح التناص الذي يحمل الدلالة ذاتها، أو يرتكز في كنهه على مضمون السرقات الشعرية في النقد العربي القديم، وقد استنبط النقد العربي الحديث -بناءً على ذلك- مصطلحات أخرى تتغاير مع مصطلحي السرقات والتناص من الناحية اللفظية واللغوية ولكنها تعبر عن المضمون الاصطلاحي المنوط بهما، مثل توظيف الموروث- البناء على الحكاية- التداخل- التعالق، وغيرها.

خرج علينا في القرن الماضي ميخائيل باختين ومجموعة من تلامذته بجملة من المصطلحات والنظريات النقدية التي تلقاها النقاد العرب بالقبول والترحاب لأول وهلة، ومن أهم تلك النظريات التي استلهمها النقاد العرب وأفادوا منها إفادة جمة؛ نظرية التناص، حيث اتخذها الباحثون مناطًا لدراساتهم وتطبيقاتهم على الإبداع الأدبي القديم والحديث، وما إن هدأت طفرة انبهار الحداثيين من النقاد العرب بالانجراف خلف كل ما هو جديد قادم من الغرب دون تمحيص وتدقيق لماهية المصطلح؛ ظهرت أمامهم تلك التشابهات بينها وبين بعض المصطلحات النقدية العربية القديمة.

فماهية نظرية التناص التي صرحت بها الباحثة البلغارية جوليا كريستيفا تتقاطع مع مصطلح السرقات الشعرية، الذي شغل ساحات النقد العربية زمنًا طويلًا، وتوصل في شأنها نقادنا العرب القدامى إلى الفصل في ماهية التعالق الحادث بين النصوص الشعرية على وجه الخصوص، وعكف

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

جملة من الباحثين في العصر الحديث على تقصي تلك النظريات النقدية، وكشفوا عن ماهيتها وتوصلوا إلى جملة من النتائج الهامة التي أخذت بعين الاعتبار في الدرس النقدي.

وقد يظهر للناقد مدى التشابه الكبير بين المصطلحين، فانقسم النقاد والباحثون العرب إلى فئات، منهم من أعلى قيمة مصطلح التناص، وأظهروا المفارقات بينه وبين مصطلح السرقات الشعرية؛ وهؤلاء هم دعاة الحداثة من النقاد العرب، وفئة أخرى منهم قال بأن لمصطلح التناص مرجعية في النقد العربي القديم، وقرروا بأن مصطلح التناص ما هو إلا إعادة صياغة لمصطلح السرقات الشعرية، وقسم ثالث حاولوا الدمج بينهما واستنبطوا مصطلحًا ثالثًا وهو توظيف الموروث، للخروج بمصطلح عربي أصيل يحمل في طياته الحداثة والمرجعية النقدية العربية، وهناك الكثير من المصطلحات التي لم تنل ذلك الحظ من الشهرة والذيوع، كالبناء على الحكاية، وتوظيف الأسطورة، والتداخل النصي، والتعالق.

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث.

مر النقد العربي على مر العصور بأنماط من التغيير والتجديد، فبداية من حلقات النقد التي كانت تعقد في سوق عكاظ بالجاهلية؛ كان النقد وسيلة وسبيل للوصول إلى الأفضل، وتحسين المستوى الأدبي والإبداعي بصفة عامة، ومنذ ذلك الحين إلى العصر الحديث نجد العديد من التغييرات التي طرأت على البحث النقدي، من حيثية نقد النص الإبداعي، وقد ساد النقاد العرب سائر الأمم في مختلف العلوم، وخرجوا بمصطلحات وتنظيرات كانت سابقة لعهدها، تغافل عنها العرب في وقت إخفاقهم فتخلفوا عن ركب التقدم، وتنبه إليها الغربيون وأعادوا صياغتها وإنتاجها فسادوا الأمم، وكان صرح تقدمهم مُؤَسَّس بالذي ظنناه رفات قديم ورجعية مقيتة وتخلف، ولا شك في أن النهضة الغربية الحديثة قد أثَّرت تأثيرًا بالغًا على مجريات الحركة النقدية العربية الحديثة، وكان هذا التأثير واضحًا عند دعاة الحداثة والتجديد، الذين انصاعوا خلف كل جديد، ولو تنبه أولئك للحظة لفطنوا أن تلك الدعاوى تُصنع وتُروج فقط ليعمل بها غيرهم.

أولًا: التناص:

بالرجوع للمعاجم اللغوية نجد أن مصطلح التناص مأخوذ من مادة (نصص)، والنَّصُّ: رفْعُك الشيء. نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً: أي رفَعَه.

وأَصل النَّصّ أَقصى الشيء وغايتُه. ونَصَّ الرجلَ نصّاً إِذا سأَله عن شيءٍ حتى يستقصي ما عنده. ونصُّ كلِّ شيءٍ: منتهاه.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويقال تناص القوم: أي ازدحموا. ونصصت الرجلَ إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده(١).

وفي الاصطلاح: نجد أن المصطلح قد ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين، يعرفه الدكتور عز الدين إسماعيل: بأنه هو التأثر المباشر بالنصوص المختلفة التي يمكن أن تعود إلى مصادر شتى، فيظهر هذا التأثر على إبداع الشاعر من خلال إدراجه بالاقتباس أو التضمين أو الإيحاء بالمعنى لنصٍ أو قبسٍ من هذه النصوص، التي يمكن أن تكون آيةً قرآنية أو حديثاً نبوياً أو بيتاً شعرياً أو مثلاً أو ما إلى ذلك.

إذاً فيمكننا القول بأن التضمين والاقتباس ما هما إلا أشكال من التناص، مع أن التضمين له مرجعية في نقدنا العربي القديم، والتناص ما هو إلا مصطلح نقدي استمده النقاد من الغرب، ولكنه وجد رواجاً واسعاً، لذا وجدنا كثيراً من الباحثين قد نظروا إلى الدواوين الشعرية والآثار النثرية من خلال التناص وأعادوا قراءتها، ولكن إلى جانب هذا نجد أن بعضاً من النقاد العرب المحدثين راحوا ينظرون إلى تلك القضايا التي أثارها النقاد القدامى، فالتفتوا إلى التضمين، فنرى أن الدكتور عز الدين إسماعيل ينظر إلى التضمين باعتباره معادلًا موضوعيًا لقضية التناص في العصر الحديث، ويشير إلى كونه يشير إلى براعة المبدع في استلهام الأصوات المتعددة، التي تنم عن سعة ثقافته، وإدراكه بماضيه، وهذا يضيف على نصه نمطًا إبداعيًا يعلي من قيمته الفنية(٢).

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ه، ج٧ ص٩٧.

(٢) انظر: عزّ الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار الفكر- بيروت ، الطبعة الثالثة، (١٩٧٨م)، صـ٣١١.

ثانياً: توظيف الموروث:

الموروث كلمة مأخوذة من الأصل ورث، وتوارثَ يتوارث، توارُثًا، فهو مُتوارِث، والمفعول مُتوارَث (للمتعدِّي)، وتوارث القومُ: ورِث بعضُهم بعضًا، وتوارث القومُ المالَ: ورثه بعضُهم عن بعض(١)، والموروث هو الذي ترك الميراث أو الشيء(٢)، وما يعنى بالموروث في هذا الموضع هو كل ما خلفه الأسلاف من الآثار الثقافية والعلمية والدينية وحكايات والأساطير...، لذا يتشعب الموروث إلى موروث ديني، وموروث تاريخي، وموروث أدبي، وموروث شعبي، وغيره من الموروثات التي يستلهمها الأديب ويستدعيها من التراث ليعزز فكرته.

تتعدد التعريفات التي يسوقها النقاد للتعريف بتوظيف الموروث، ولعل من أهم التعريفات التي أراها معبرة عن مضمون المصطلح ما ذكره الناقد يوسف نوفل في ذلك الشأن، حيث عرفه بأنه "ذلك التداخل الجدلي بين طرفي: النص الحاضر والنص الغائب في شبكة من العلاقات الممتدة في فضاء النص، دون وقوع في أسر المباشرة"(٣)، فتوظيف الموروث في أبسط صوره استدعاء لنصٍّ قديم غائب، ودمجه لعلة فنية أو دلالية في النص الحاضر، فينتج عن ذلك التداخل نصًا جديدًا له سماته الخاصة الناتجة عن ذلك التداخل.

---

(١) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م، ج٣ ص٢٤٢١.

(٢) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر- القاهرة، ط١٩٧٩م، ج٦ ص١٠٥.

(٣) يوسف نوفل، مغامرة التلقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص١٦٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثالثاً: البناء على الحكاية:

الحكاية لفظة تشير إلى نقل الكلام المتضمن لحدث بعينه في زمن مضى، ولعل المعاجم اللغوية في تعرضها لأصل بنيتها (حكى)؛ تقترب بصورة أو بأخرى مع هذا المعنى، فيقول صاحب الصحاح: "حَكَيْتُ عنه الكلام حِكايَةً: أي نقلته، وحكَوْت لغةٌ حَكاها أبو عبيدة. وحَكَيْتُ فِعْلَهُ وحاكَيْتُهُ، إذا فعلتَ مثل فعله وهيئته. والمحاكاة: المشابهة"(١)، وقد تكون الحكاية حدثًا حقيقيًا، وقد تكون أسطورة خرافية، ولا يشترط أن تكون قرينة الصلة بالأمة التي تتناقلها، ولعل أغلبها يحمل دلائل الخرافة، لأن توظيفها يتعارض مع الواقع الفكري، وربما نطقت ببعضها الوحوش والطير والحيوانات(٢).

استلهم الشعراء العرب الحكايات والأساطير في أشعارهم من العصور القديمة، ولعلنا لا يمكن أن نقف على بدايات توظيف الحكاية والبناء عليها في النص الشعري القديم، وقد تنقسم تلك الحكايا الموروثة إلى أكثر من ثقافة، فمنها الأساطير الدينية التي ثبتت صحتها بنص القرآن الكريم، كقصص الأنبياء ومعجزاتهم، ومنها ما يرجع في أصله إلى الأسطورة التي تحمل دلائل القدم، ولا يُعلم لها بداية فعلية معلومة، وفي هذا يجد الشعراء مادة خصبة يبنون عليها نصوصهم الشعرية ويوظفونها توظيفًا يخدم أغراضهم الشعرية، فالتراث العربي يضم "كمًا هائلًا من الحكايا التي تستقر

(١) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم لملايين- بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م، ج٦ ص٢٣١٧، مادة (حكى).
(٢) يوسف نوفل، مغامرة التلقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص٢٢٢.

في الوجدان وتتفاعل مع الموروث فتَثرَى به وتثريه، وكثيرًا ما يتداعى ذلك الموروث إلى الإبداع الشعري فتتلاقح الدلالات، وتتكاثر الإيحاءات، وفي ذلك ما يفرّق بين شاعر وآخر، وبين نصٍّ ونص في تناصية شعرية"[١]. يمثل مصطلح البناء على الحكاية إحدى أنواع السرقات الشعرية أو التناص بالاصطلاح الحديث، ويتداخل من جهة أخرى مع مصطلح توظيف الموروث، وذلك من منطلق كون الحكاية نصًّا موروثًا مستقلًا بذاته، وكذلك مطروح أمام جموع الشعراء والمبدعين لينهلوا من معينه، ويفيدوا منه في خدمة أغراضهم ودلائل نصوصهم.

(١) يوسف نوفل، مغامرة التلقي، ص٢٣١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

رابعاً: السرقات الشعرية:

اصطلح النقاد قديمًا على أن مصطلح السرقات الشعرية يعني "حسن تناول الشاعر للمعاني التي سُبق إليها"(١)، فـ" السَّرقةُ – هي أن يأخذَ الشخص كلام الغير، وينسبه لنفسه وهي ثلاثة أنواع: نسخٌ، ومسخٌ، وسلخٌ"(٢)، وقد أكثر النقاد القدامى في تناول قضية السرقات الشعرية وتحديد ماهيتها، وقد مر تعريف المصطلح بمراحل شتى، وكان لكل مرحلة نظرتها حول المصطلح، حتى تعارفوا على ضرورة التفريق "بين المشترك الذي لا يجوز ادّعاء السّرَق فيه، والمبتذل الذي ليس أحدٌ أولى به، وبين المختصّ الذي حازه المبتدئ فملكه، وأحياه السابق فاقتطعه، فصار المعتدي مُختلساً سارقاً، والمشارِك له محتذياً تابعاً"(٣)، فقد تعارفوا على تقسيم السرقات الشعرية إلى أنواع وفروع، وكل نوع له حكمه الذي يدور بين السرقة الواضحة، والتقليد، والإضافة على نتاج القديم.

---

(١) ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي- القاهرة، صـ١١٣.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية – بيروت، صـ ٣٣٧.

(٣) القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد شعره، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البيجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة، صـ١٨٣.

المبحث الأول: التلقي العربي لقضية التناص.

يعد التناص بمدلوله الأدبي من المصطلحات النقدية الحديثة، التي دخلت حقل الدراسات الأدبية والنقدية، وقد حقق هذا المصطلح ذيوعاً وانتشاراً على يد عدد من الأدباء والنقاد والباحثين، الذين اتخذوا منه غاية ووسيلة لإظهار جماليات النص الشعري، وهذا ما منح مصطلح التناص هذا الذيوع والانتشار.

ويكاد يجمع الباحثون على أن هذا المصطلح ظهر على يد الباحثة الفرنسية، جوليا كريستيفا، في عدة بحوث بين سنة (١٩٦٦م) وسنة (١٩٦٧م)، وقد جاء تعريفها يتلخص في أن النص" نظام عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه فالنص إذنْ إنتاجية ..."[١].

ولكن على الرغم من ارتباط التناص بجوليا كريستيفا؛ إلا أن مصطلح التناص قد استنبطه ميخائيل باختين، وتناوله في بحوثه ووضح ماهيته، وجاءت كريستيفا من بعده وأكملت بناء ما أسس له باختين، لذلك فإن المنظِّر الأول لهذا المصطلح هو ميخائيل باختين بلا منازع، بل إن أفضل من

(١) التناص في نثر ابن الخطيب، رسالة ماجستير ، هشام محمد عبد العزيز، كلية دار العلوم، ٢٠١٥م، صـ٥١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وضح ماهية التناص وما يرمي إليه هو ما قدمه الناقد الروسي ميخائيل باختين، والذي اكتسب شعبية متأخرة كتفكيكي متقدم(١).

وقد كان لكريستيفا فضل إظهار المصطلح وانتشاره على هذا النطاق الذي نراه في الساحة النقدية اليوم، وهذا ما أوضحه الناقد البلغاري تزيفيتان تودوروف في كتابه ميخائيل باختين.. المبدأ الحواري، وقد عقد الفصل الخامس من هذا الكتاب لتناول قضية التناص في فكر ميخائيل باختين(٢).

استنبط باختين مصطلح التناص من خلال رصده للتعالقات المختلفة والكثيرة بين النصوص، وذلك في طيات بحثه عن الحوارية، ويعتبر هذا التعالق الحادث بين النصوص والمتمثل في مصطلح (التناص) مندرج داخل الطبيعة الحوارية للنص الأدبي، ويعبر باختين عن ماهية التناص بقوله: "يدخل فعلان لفظيان، تعبيران اثنان، في نوع خاص من العلاقة الدلالية ندعوها نحن علاقة حوارية. والعلاقات الحوارية هي علاقات دلالية بين جميع التعبيرات التي تقع ضمن دائرة التواصل اللفظي"(٣).

وتناول النقاد العرب مصطلح التناص من النقد الغربي، وقد لاقى المصطلح رواجًا وانتشارًا على نطاق واسع في الساحة النقدية العربية،

---

(١) انظر: عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب- الكويت، سنة (١٤١٨ هـ/١٩٩٨ م) ص ٣٦٢.

(٢) انظر: تزفيتان تودروف، ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ترجمة: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م، ص١٢١ وما بعدها.

(٣) تزفيتان تودروف، ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ترجمة: فخري صالح، ص١٢٢.

ويمكن اختصار التنظيرات العربية لمصطلح التناص فنقول هو التأثُّر المباشر بالنصوص المختلفة التي يمكن أن تعود إلى مصادر شتى، فيظهر هذا التأثر على إبداع الشاعر أو الكاتب من خلال إدراجه بالاقتباس أو التضمين أو الإيحاء بالمعنى لنص أو قبس من هذه النصوص، التي يمكن أن تكون آيةً قرآنية أو حديثاً نبوياً أو بيتاً شعرياً أو مثلاً أو حدثًا تاريخيًا، أو....، إذاً فيمكن القول بأن التضمين والاقتباس من أنماط التناص، والتناص ما هو إلا مصطلح نقدي استمده النقاد من الغرب، ولكنه وجد رواجاً واسعاً، لذا وجدنا كثيراً من الباحثين قد نظروا إلى الدواوين الشعرية والآثار النثرية من خلال التناص واستعادوا قراءتها، وإلى جانب هذا نجد بعضاً من النقاد العرب المحدثين راحوا ينظرون إلى تلك القضايا التي أثارها النقاد القدامى، فالتفتوا إلى التضمين، من أمثال عز الدين إسماعيل الذي يعتبر التضمين من أهم عوامل التطور الفني للقصيدة العربية الجديدة[١].

التفت عز الدين إسماعيل إلى الطبيعة الحوارية للنصوص، وأشار إلى التعالق الحادث بينها، وهذا ما أثاره ميخائل باختين حول مصطلح التناص، ولكن عز الدين إسماعيل لم يصرح بمصطلح التناص، إيمانًا منه بأن المصطلح لم يضف جديدًا يُذكر عما تقدم تناوله في مصنفات النقد العربي القديم تحت عدة مسميات، أشهر ما يذكر منها مصطلح السرقات الشعرية .

لذا فإن التلقي العربي لمصطلح التناص قد اتخذ ثلاثة أشكال تشكل واقعها في الساحة النقدية العربية، الفريق الأول الذي ينجرف خلف دواعي الحداثة والتجديد، وهؤلاء الذين استلهموا مصطلح التناص عن الغرب،

(١) عزّ الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، الطبعة الثالثة دار الفكر – بيروت، ١٩٧٨م، صـ٣١١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقاموا بإسقاطه على الموروث الأدبي العربي، والفريق الثاني وهم الذين تبنوا فكرة مرجعية التناص إلى النقد العربي القديم، ورفضوا المصطلح جملة وتفصيلًا، والفريق الثالث الذين أرادوا المزج بين المصطلح الغربي والمرجعية النقدية القديمة، فتبنوا مصطلحًا يجمع بينهما وهو مصطلح توظيف الموروث، وهناك من يستخدم مصطلح البناء على الحكاية.

من خلال هذا يمكن أن نعتبر مصطلح التناص حديثاً ذا مرجعية وجذور تجلت من خلال تناول نقادنا القدامى لقضية السرقات الشعرية والاقتباس والتضمين، فإن" القول في الاقتباس والتضمين والتلميح والعقد والحل مما يتصل بالسرقات الشعرية، وهي من قضايا النقد الأدبي القديم التي لاقت رواجاً عند النقاد القدماء والمحدثين"(١)، وهذا ما يجعلنا نقف في حيرة مما نراه في العصر الحديث، من إعلاء قيمة مصطلح التناص على الموروث النقدي القديم، وهذا يظهر جليًا ممن يتصدرون الساحة النقدية في العصر الحديث.

البدايات الأولى لتلقي نظرية التناص عند النقاد العرب:

يعد الباحث الأكاديمي التونسي الطاهر لبيب أول من نظَّر لمصطلح التناص في النقد العربي، وجاء هذا التلقي للنظرية من خلال دراسته الماتعة حول الغزل العربي، فقد تناول في بحثه هذا الحديث عن أولية النص الشعري العذري، وقد نفى من خلاله فكرة وجود نص شعري عذري يمكن أن نعتبره النص المؤسس لهذا الاتجاه من الشعر العربي، لأن هذا الزعم

(١) معيار النظار في علوم الأشعار، عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الخزرجي الزنجاني(ت:نحو٦٦١ه)، تحقيق ودراسة وشرح : د. محمد علي رزق الخفاجي، دار المعارف- مصر، جـ٢ ح صـ١٠٩.

يتناقض مع نظرية التناص، وقد أكد في جملة بحثه على صعوبة تحديد أولية النص العذري[١]، كما تعرض لمعالجة قضية البنية والدلالة في ضوء نظرية التناص، حيث تناول عناصر البنية وتشكلها عبر خطوات طويلة ومعقدة من خلال ثلاث نقاط رئيسية، في مقدمتها التناص[٢].

فقد كانت هذه الدراسة الأولية بمثابة تمهيد للتناول العربي لنظرية التناص، وهذا أمر يحمد للباحث ويثبت ريادته العربية لتلقي نظرية التناص، وقد توصل من خلال بحثه لجملة من النتائج التي تناولها الباحثون بعده باهتمام.

ويرجع جملة من الباحثين العرب التنظير الفعلي لنظرية التناص في النقد العربي للباحث المغربي محمد بنيس، وذلك من خلال تناوله لتطبيق المصطلح على الشعر المغربي المعاصر في كتابه "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب"، وكذلك في أطروحته المعنونة بـ"الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته"، غير أن بنيس لم يستخدم في دراستيه هاتين مصطلح التناص، وإنما آثر أن يستبدله بمصطلح "التداخل النصي"، وقد عرض من خلال تناوله للتداخل النصي لعدة مصطلحات أخرى وثيقة الصلة به مثل "النص الغائب" و"النص الصدى" والنص الأثر"، وجملة تلك المصطلحات الثلاثة لا

---

(١) محمد بلوجي، الشعر العذري في ضوء النقد العربي الحديث؛ دراسة في نقد النقد، منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص٢٤٥.

(٢) صالح عبد الله الهزاع، قراءة في كتاب "سيسيولوجيا الغزل العربي"، مقال منشور بتاريخ ٢٤أبريل ٢٠١٢م، على الرابط التالي: http://www.alhazza3.sa/?p=2542.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يمكن أن تخرج من طيات التناص أو التداخل النصي بتعبيره، لأنها من أوجه التناص[١] .

ويتضح جليًا أن بنيس لم يسلم من الافتتان بالتنظير الغربي لمصطلح التناص، فيظهر في دراساته عدم الاتزان والانجرار خلف ماهية المصطلح في صورته الغربية، ولم يفرق بين إمكانية التطبيق للمصطلح على النتاج الأدبي الغربي، ومدى الفروقات الواقعة عند تطبيقه على النتاج الأدبي العربي، فالبيئة العربية لها طبيعة مغايرة تمامًا عن البيئة الغربية التي وفد منها المصطلح، فقد استعار القوانين الضابطة للمصطلح دون أن يغيرها أو يكيفها وفقًا لطبيعة البيئة العربية، ولم يكيفها مع طبيعة المجال التداولي الجديد، واكتفى بجلب المصطلح بمفاهيمه الأصلية دون مواءمتها لطبيعة الإبداع العربي[٢].

وقد استوت معالم النظرية على يد الناقد العربي المغربي محمد مفتاح، فقد تناول المصطلح بماهية تختلف عن سابقيه، وذلك من خلال كتابه الذي يعد عمدة في ذلك الباب "تحليل الخطاب الشعري؛ استراتيجية التناص"، ويظهر من العنوان أن الباحث تناول النظرية مباشرة دون الاتكاء على أسلوب التلميح أو الإشارة إليه بمصطلح مغاير، فيعتبر هذا الكتاب -بحق- هو الرائد المنظر لمصطلح التناص، وأفصح عن ماهية التلقي العربي للمصطلح، فقد ناقش مفهوم التناص، وحاول استجلاء قوانينه من خلال

(١) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقاربة بنيوية تكوينية، دار التنوير – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص٢٥٣.

(٢) المختار حسني، التناص في الإنجاز النقدي، مجلة علامات ج٤٩، م١٣، رجب ١٤٢٤هـ/سبتمبر ٢٠٠٣م، ص٥٦٢.

تعريفاته التي ساقها أعلام النقاد الغربيين أمثال كريستيفا وجينيت وتودوروف، وكذلك يختلف تناوله للمصطلح عن تناول بنيس له، من حيث إنه كان صاحب رؤية نقدية عربية، استطاع من خلالها التفريق بين التناص بالمفهوم الغربي والمفهوم العربي، وقعَّد له دون الانجرار خلف دعاوى الغرب المبثوثة في طيات المصطلح، بل إنه انتقد كل التعريفات التي تعرض لها النقاد الغربيون، منتهياً إلى كونها لم تستطع أنْ تقدم تعريفاً جامعاً مانعاً لنظرية التناص؛ وقدم لنا تعريفاً جديداً مُستخلصاً من قراءاته الواعية لمن سبقه من الغرب، معبرًا عن الرؤية النقدية لمصطلح التناص بثوبه العربي، فالتناص لديه هو تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة(١)، وهذا التعريف في حد ذاته يحيلنا إلى ما ذكرناه آنفًا حين قررنا أن المصطلح يرمي إلى إظهار التعالق.

وقد تنبه العديد من النقاد العرب في منذ أواخر التسعينيات إلى التداخل المعرفي بين التناص والسرقات الشعرية، ولعل أبين من يمكن أن نشير إليهم في هذا المقام هو الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض، والناقد المصري يوسف نوفل، ولعل هذا يتضح فيما قرره مرتاض بقوله: "الفكر النقدي العربي القديم حافل بالنظريات والإجراءات التطبيقية، ومن العقوق أن نضرب صفحًا عن الكشف عما قد يكون فيه من أصول لنظريات نقدية غربية تبدو لنا الآن في ثوب مبهرج بالحداثة؛ فننبهر أمامها، وهي في حقيقتها لا تعدم أصولًا لها في تراثنا النقدي، مع اختلاف في المصطلح والمنهج

(١) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م، ص١٢٠,١٢١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والإجراء بطبيعة الحال"[١]، حيث أصل لمرجعية نظرية التناص للتراث النقدي العربي وأوضح تعالقه مع السرقات الشعرية، وهو ما أشار إليه نوفل في تأصيله للنظرية نفسها، مشيرًا إلى تلك الجهود المضنية التي تزخر بها كتب النقد العربي القديم حول التضمين والاقتباس والسرقات الشعرية إجمالًا، ودلالتها الواضحة على ما يرمي إليه مصطلح التناص في النقد الغربي الحديث[٢]، حيث تفنن النقاد العرب القدامى في تفنيد الأفرع المتفرعة عن السرقات الشعرية، وشرحوا المصطلح إلى أكثر من خمسة عشر مصطلحا، مسخَّرة كلها لإيضاح ماهية التعالق الحادثة بين نص وآخر سابق له.

(١) عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م، ص١٨٨.

(٢) انظر: يوسف نوفل، استشفاف الشعر، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص٩٨.

المبحث الثاني: قضية السرقات الشعرية بين النقد العربي القديم والحديث، وأهم التقاطعات بينه وبين مصطلح التناص.

لقد أكثر النقاد وأطنبوا في تناولهم لقضية السرقات الشعرية، حيث إنهم لم يتركوا شاردة ولا واردة تتعلق بمضمون مصطلح السرقات الشعرية إلا وتكلموا فيها، كما قاموا باشتقاق مصطلحات أخرى تتفرع عنها مثل الاقتباس والتضمين والنسخ والسلخ وغيرها من المصطلحات التي يضيق بنا المجال عن ذكرها، ولكن ينقصنا العرض لتناول النقاد لتلك القضية، في محاولة للإجابة على أسئلة كثيرة تدور بأذهان الباحثين في هذا الموضوع بشكل خاص، وخاصة أن هذا الأمر قد اتسع مجاله وتعددت مصطلحاته وكثر المتكلمين فيه، حتى أنَّا وإن غلبت علينا قوميتنا العربية ووفقًا لما تجمع بين أيدينا من دلائل نكاد نجزم أن مصطلح "التناص" ما هو إلا إعادة صياغة لمصطلح قديم تناوله نقادنا العرب في العصور الأدبية الزاهية وهو مصطلح "السرقات الشعرية".

من هذا المنطلق سننطلق لتناول قضية السرقات الشعرية بين النقد العربي القديم والحديث، ونتعرض للتقاطع والتداخل الحادث بين مصطلحي السرقات الشعرية والتناص.

أولًا: السرقات الشعرية في النقد العربي القديم:

تكلم الناقد العربي الشهير ابن طباطبا العلوي في كتابه "عيار الشعر" عن مفهوم الشعر وأدواته وحدوده، فقد أفرد بابًا كاملًا تناول فيه قضية السرقات الشعرية تحت مسمى "حسن تناول الشاعر للمعاني التي سُبق

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إليها"[١]، ويلاحظ أنه لم يذكر مصطلح السرقات الشعرية صراحة، ففي تلك الآونة لم يذيع مصطلح السرقات في المصنفات النقدية قبله، وما ذكره من حسن تناول الشاعر للمعاني التي سُبق إليها كان بمثابة التمهيد لظهور قضية السرقات الشعرية، ويعد ابن طباطبا العلوي أول من تكلم في هذا الموضوع بعد ابن سلام الجمحي في كتابه "طبقات فحول الشعراء"، وقد عبر عن مضمون السرقات الشعرية في ذلك الباب حين قال: "وإذا تناول الشاعر المعانيَ التي قد سُبقَ إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعب؛ بل وجَبَ له فضل لطفه وإحسانه فيه..... إلى قوله ويحتاج من سلك هذه السبيل إلى إلطاف الحيلة، وتدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها، وتلبيسها حتى تخفى على نقادها والبصراءِ بها، وينفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق إليها"[٢]، فالرؤية النقدية لابن طباطبا حول قضية السرقات تتلخص في ضرورة حدوث التعالق بين النصوص، ولا بد أن يأخذ اللاحق عن السابق، ولكنه اشترط الإبداع والتجديد والإضافة، فيحق للشاعر أو المبدع أن "يستعمل المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منه، فإذا وجد معنى لطيفا في تشبيب أو غزل استعمله في المديح"[٣]، فلا يكون الأخذ مجرد نقل وعرض، وهو بهذا يؤصل لمبدأ التداخل النصي منذ القدم، ولكنا نرى أن ابن طباطبا أراد بهذا أن يُقعِّد لقضية السرقات، فالقضية إلى وقته لا زالت مبهمة المعالم، غير واضحة الأبعاد ولكن بعض الشروط التي وضعها عيارًا

(١) ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي- القاهرة، صـ١١٣.

(٢) ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص١٢٣.

(٣)ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، صـ١٢٦.

للسرقات قد تجنح به بعيدًا عن المأمول منها، ويكأنه يرى أن الشاعر يتعمد النظر في نتاج سابقه، ويبني مجده على أساس وقواعد أرساها السابقون، ولو كان الأمر كذلك لانقطع الإبداع منذ هلهلة الشعر وبداياته الأولى.

ولكن أقوال النقاد بعده وتفصيلهم للقضية أظهر ماهيتها، ووقفوا على حقيقة المصطلح، الذي يرمي إلى "أن يسبق بعض الشعراء إلى تقرير معنى من المعاني واستنباطه، ثم يأتي بعده شاعر آخر يأخذ ذلك المعنى ويكسوه عبارة أخرى، ثم يختلف حال الأخذ، فتارة يكون جيدا مليحا، وتارة يكون رديئا قبيحا، على قدر جودة الذكاء والفطنة والفصاحة بين الشاعرين"(١)، فإلى هذا العصر نجد تباينًا واضحًا في استخدام النقاد لمصطلح السرقات الشعرية، حيث إنه خرج من عباءة الأخذ أو السرقة بمعناها الحرفي، وصار تعالقًا بين نص حديث ونص قديم، وهناك اختلافًا واضحًا بينهما يتمثل في الإضافة التي أضافها الشاعر اللاحق على فكرة السابق، وقد توسع بعضهم وجعل للمصطلح أكثر من خمسة عشر ضربًا، وأولها أن يأخذ الشاعر قول السابق جملة بلا إضافة، غير أنه يعيد توجيه المعنى؛ كقول الفرزدق:

أتعدل أحساباً لئاماً حُماتها بأحسابِنا؟ إني إلى الله راجعُ

وكقول جرير:

أتعدل أحسابا كراماً حُماتها بأحسابكم؟ إني إلى الله راجع(٢)

(١) يحيى بن حمزة، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ه، ج٣ ص١٠٧.

(٢) انظر: يوسف البديعي الدمشقي، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، المطبعة العامرة الشرفية، الطبعة الأولى ١٣٠٨ه، ج١ ص٢٨٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وغاية ما نود أن نقوله في تناول النقاد القدامى لقضية السرقات الشعرية أن المصطلح قد حظي بحظ وافر من التحقيق والتدقيق والنقد، وقد ظهرت لتلك الأهمية عند أعلام النقد العربي القديم أمثال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت:٣٩٢هـ) في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه"، وأبي هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ) في كتابه "الصناعتين النثر والشعر"، وابن رشيق القيرواني (ت:٤٦٣هـ) في كتابه "العمدة"، والإمام عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١هـ) في كتابه "أسرار البلاغة"، وابن الأثير (ت:٦٣٧هـ) في كتابه "المثل السائر"، وغيرهم كثير، "فقد طغت مشكلة السرقات الشعرية – أو كادت – على سائر المشكلات النقدية وأهدرت في سبيلها جهود كثيرة"(١).

وقد آثرت أن أذكر جملة من النقاد القدامى الذين تناولوا قضية السرقات الشعرية، بغية إظهار مدى عنايتهم بهذا الباب من أبواب النقد، وقد جاءت رؤيتهم متفقة في مجملها، مع وجود بعض التباين والاختلاف في الحيثيات والعناصر المتعلقة بمصطلح السرقات الشعرية، واللافت للنظر أن هذه القضية شغلت أغلب النقاد العرب القدامى، ويجدر بنا أن نشير إلى أن أغلب النقاد اعتمدوا على تشريح المصطلح إلى "النسخ والسلخ والمسخ" كأصول ثلاثة تتأرجح بينها قضية السرقات، وزادوا عليها الكثير من المصطلحات الأخرى التي تندرج تحت باب السرقات الشعرية على نحو ما أوضحنا سابقًا.

(١) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة– بيروت، الطبعة الرابعة،١٤٠٤هـ= ١٩٨٣م، ج١ ص١١.

ثانياً: السرقات الشعرية في النقد العربي الحديث:

اهتم جملة من النقاد في العصر الحديث باستجلاء معالم ظاهرة السرقات، وأولوها عنايتهم على غرار أهميتها البالغة في النقد القديم، وقد ظهرت لهم فيها مذاهب، وتفرقوا في آرائهم فرقًا وشيعًا، فمنهم من لا يزال يُعرِّف السرقة بالأخذ، فيقول أن "السَّرقةُ هي أن يأخذَ الشخص كلام الغير، وينسبه لنفسه وهي ثلاثة أنواع: نسخٌ، ومسخٌ، وسلخٌ"(١)، وقد اتفق جملة من النقاد على هذا الرأي، وتعد هذه العناصر الثلاثة هي الركائز التي لا تخرج عنها قضية السرقات، ولها بعض المصطلحات التي تتعلق بها تعلقًا وثيقا، فـ"يتصل بالسرقات الشعرية: ثمانية أمور، الاقتباس، والتضمين، والعقد، والحلّ، والتّلميح، والابتداء، والتّخلّص، والانتهاء"(٢)، بل نجد من النقاد السابقين من أوصل أنواع السرقات إلى خمسة عشر ضربًا، وهذا يوقفنا على حقيقة العناية بالظاهرة، والانتهاء إلى فصل القول في ماهيتها.

ولكن آراء النقاد في العصر الحديث حول مصطلح السرقات الشعرية جاءت متباينة، فمنهم من عكف على مجهودات السابقين، وعرض أقوالهم في النقد الحديث بطريقة مدرسية خالية من التجديد والإضافة والنقد عمومًا، ومنهم من تعرض للقضية بالنقد والتحليل، وربما أضاف في حدود بسيطة، لأن السابقين قد استوفوا جوانب الظاهرة بحثًا، مما جعلهم يقعوا في حرج التكرار المقيت، أو التحامل غير المبرر في اتهام الشعراء والتجني عليهم، ولو طُرحت هذه الإشكالية جانبًا؛ يمكن إرجاع تلك الكثرة المفرطة في تناول

---

(١)أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية – بيروت، صـــ ٣٣٧.

(٢) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٣٣٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

باب السرقات لأمرين؛ "أولهما الإحساس العميق بأن دائرة المعاني قد أقفلت، وأن منتصف القرن الرابع يشهد " الغارة الشعواء " على كل معنى سابق، لمتقدم أو معاصر.....، والأمر الثاني استقطاب مشكلة السرقات لسائر القضايا النقدية واستئثارها بكل الجهود؛ وفي هذا إشارة إلى خروج رحى النقد عن محورها الطبيعي"(١)، وربما توجه بعض النقاد في العصر الحديث لتبني هذا القول للكثرة المفرطة التي وصلت إلينا من الموروث النقدي في العصر الحديث، وبمقارنة اهتمام القدامى بالمصطلح وتفصيل القول فيه وبعض القضايا النقدية الغربية في العصر الحديث، لن نتبنى هذا القول وننادي به، فينبع الإكثار من تناول الظاهرة والحديث عنها عن مدى ذيوعها وانتشارها واقترانها بالإبداع الشعري بجملته، وهذا يرمي بنا كذلك لمخالفة الدكتور إحسان عباس، في زعمه أن اتهام النقاد القدامى بعض الشعراء بالسرقة والإفراط في هذا الجانب من باب التجني عليهم، ولكنا نحسن الظن ونجيب بأن هذا الأمر ما هو إلا استقصاء للظاهرة، واستيفاء حدودها للخروج بقول فصل فيها، وهذا ما يقف عليه من يستقصي المجهودات المبذولة في هذا الباب.

وقد جاء التناول النقدي الحديث للظاهرة متضح المعالم، بعد أن عكف المحدثون على مجهودات القدامى، وعبروا عن أنواع السرقات بمصطلحات جديدة مستحدثة كتوارد الأفكار واتفاق القرائح، فتكون السرقة "إذا توافق الشاعران على اللفظ والمعنى، أو المعنى وحده، فإن لم يعلم أخْذ الثاني من الأول، جاز أن يكون من قبيل اتفاق القرائح وتوارد الأفكار من غير قصد

(١) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ج١ ص٣٣-٣٤.

إلى سرقة وأخذ، ويسمى ذلك مواردة، ويرشد إلى ذلك ابن ميادة لما أنشد ابن الأعرابي قوله لنفسه:

"مفيد ومتلاف إذا ما أتيته تهلل واهتز اهتزاز المهند

قيل له: أين يذهب بك، هذا للحطيئة، قال: الآن علمت أني شاعر إذ وافقته على قوله ولم أسمعه إلا الساعة"(١)، وهذا التوارد لا يُحد بزمان ولا بلغة، فقد يتفق شاعران في بيئتان مختلفتان، وربما يختلفا في اللغة على فكرة واحدة، فـ"اتفاق القائلين إن كان في الغرض على العموم -كالوصف بالشجاعة والسخاء والبلادة والذكاء- فلا يُعدّ سرقة، ولا استعانة ولا نحوهما؛ فإن هذه أمور متقررة في النفوس، متصورة للعقول، يشترك فيها الفصيح والأعجم، والشاعر والمُفْحَم"(٢)، وهذا من سبيل التوارد الذي يمكن أن يندرج تحت باب السرقات، ويمكن أن يعبر عنه بالتناص كما في الاصطلاح الغربي الحديث.

والخلاصة في التناول النقدي الحديث لقضية السرقات أن أغلبهم فرق بين ثلاثة صنوف منها، الأول وهو ما يعرف بالموارَدة، التي قد يتفق فيها قول شاعر مع قول شاعر سبقه، دون أن يعرف هذا الأخير شيئًا، وهذا أمر وارد يدركه المبدعون في كافة المجالات، وخاصة الشعراء منهم، والأمر الثاني يعرف بالاشتراك العام، الذي لا يحد بزمن ولا بلسان، كالتشبيه بالأسد في الشجاعة، وبالبدر في الحسن، وهذا مشترك بين كل البشر، وفي إدراك الجميع، والثالث وهو المتعلق بالسرقة الأدبية المتعمدة، وهي التي يسطو

(١) أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ص٣٧٦.
(٢) عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في البلاغة، مكتبة الآداب- القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤٢٦هـ =٢٠٠٥م، ج٤ ص٦٦٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فيها اللاحق على نتاج السابق وينسبه إلى نفسه، دون جدة منه أو ابتكار يضاف على ما سطا عليه، وفي الغالب في هذه الحالة ما ينسب الفضل فيها للسابق، ويبقى للاحق التكرار وإعادة الصياغة، وقد يجيد اللاحق إذا أضاف إلى المعنى جديدًا ينسب إليه، وعلى هذا التقرير سار أغلب النقاد العرب في العصر الحديث(١)، ولكنهم أطنبوا في تناول التناص على حساب السرقات الشعرية، وربما تكون دعواهم في هذا هو اقتصار السرقات على المجاز والتشبيهات والاستعارات عمومًا، وقضية التناص نظروا إليها باعتبارها قضية أوسع وأرحب من هذا النطاق، لأنها لم تكتفِ بالأفكار والمعاني فقط.

ثالثاً: التداخل بين مصطلحي السرقات الشعرية والتناص:

بالنظر إلى قضية السرقات في النقد العربي قديمًا وحديثًا –على نحو ما عرضنا– سنجد أن جملة من النقاد القدامى قد اسرفوا في الحكم بالسرقة والأخذ، وسار على نهجهم جملة من الشعراء في العصر الحديث، فننظر إلى قول الأصمعي عن شعر جرير والفرزدق أن: " تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة وأما جرير فما علمته سرق إلا لنصف بيت"(٢)، ويظهر التجني واضحًا في نقد الأصمعي للفرزدق، حين جعل تسعة أعشار شعره سرقة، ويظهر كذلك الميل المقيت لجرير، حين لم يتدارك عليه سرقة إلا في نصف بيت، ونخرج من هذا بأن قضية السرقات بتعريفها الحرفي استغلها بعض النقاد قديمًا وفق هواهم، وهذا لا يجعلنا نعمم هذا الحكم على جملة النقاد الذين

(١) عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي، البلاغة العربية، دار القلم– الدمشقي، الطبعة الأولى، ١٤١٦ه= ١٩٩٦م، ج٢ ص٥٤٧.

(٢) محمد بن عمران بن موسى المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار النهضة، الطبعة الأولى،١٩٦٥م، ص١٦٧.

تناولوا هذه القضية، ونلمح كذلك تناولهم لسرقات المتنبي وأبي تمام، والترجيح بينهما في مصنفات مستقلة تستأنف اشتراكهما في بعض المعاني، والحكم بأخذ المتنبي من أبي تمام، ولكن بتطبيق المدلول الفعلي لقضية التناص أو التداخل والتوارد والتعالق النصي على أولئك الشعراء؛ سنتوصل في نهاية المطاف إلى تبرئتهم وغيرهم في الكثير من أشعارهم التي حُكم عليهم فيها بالأخذ والسرقة، ففي نظرية التناص يتصف النص بالإنتاجية؛ وهو أنَّ علاقة النص باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع عن طريق التفكيك وإعادة البناء(١)، وهذا يوضح بدوره قضية التوارد والتعالق الحادث بين مختلف النصوص.

وقد توصل النقاد العرب إلى حقيقة وكنه التناص في طيات تناولهم لقضية السرقات التي أدرجوا تحتها أكثر من خمس عشرة مصطلحًا، ولكن القضية أخذت اتجاهًا مغايرًا عند أغلب النقاد الذين تناولوا القضية كما أسلفنا بالذكر، ولم يفطنوا إلى أن كل نصّ هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى؛ حيث إن كل نص يعبر عن التمازج أو التداخل بين النصوص(٢)، وعلى غرار هذه النظرة المحايدة للنتاج الشعري والأدبي أعيدت قراءة العديد من الدواوين الشعرية والنصوص الإبداعية بصورة عامة، وتوصل إلى نتائج مغايرة عما توصل إليها الذين حكموا بقطعية سرقة أحد الشعراء عن سابقيه، إذًا فهناك صلة كبيرة وعتيقة بين السرقات والتناص، حتى وإن

(١) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات –القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص١٦٢.

(٢) محمد عزام، النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)، اتحاد الكتاب العربي – دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص٢٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

اختلفت التعريفات والمناهج، من حيث إن التناص حديثًا سيق بصورة أعم وأشمل مما التفت إليه النقاد القدامى في تنظيرهم لقضية السرقات بمدلولها الشعري والأدبي.

إذا التفتنا إلى النقائض كإحدى الجذور الرئيسة التي مهدت لظهور مصطلح السرقات الشعرية –وكذلك يمكن أن نعتبرها بمثابة تمهيد للتناص في العصر الحديث– سنجد أن مضمون نظرية التناص يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالنقائض من خلال تعالق النصوص وترابطها ببعضها، فلا نستطيع الجزم بأن النقائض حوت نظرية التناص في طياتها، ولكنها مهدت لظهور بعض النظريات النقدية في الأدب العربي القديم، من أمثال الاقتباس، والتضمين، والسلخ، والنسخ، والعقد، والحل وغيرها من المصطلحات التي تعد في ذاتها دليل على تفهم العرب لمضمون التناص وكنهه، يمكن أن نستجليه ونستوضحه من عدة قضايا نقدية، مثل النقائض والمعارضات والسرقات الشعرية، وكذلك توظيف الموروث التاريخي والديني والاجتماعي، والبناء على الحكاية وتوظيف الأسورة، والفلوكلور، وغيرها الكثير، ويحمد لباختين وكريستيفا وتودوروف وغيرهم إعادة الإنتاج في ثوب جديد، مما يجعلنا نخلص إلى حقيقة لا مراء فيها، مفادها أن مرجعية التناص في العصر الحديث هي السرقات الشعرية وما سبقها من مصطلحات ونماذج إبداعية كالنقائض، مما يثبت للنقاد العرب القدامى فضل الريادة في هذا الباب.

المبحث الثالث: مصطلح توظيف الموروث وعلاقته بالتناص والبناء على الحكاية والسرقات الشعرية.

يمثل التراث الهوية القومية لكل الشعوب، فلا ينفك شعب عن قوميته، بل إن روح الانتماء تتبعه في كل شئونه الحياتية، في الأقوال والأفعال، وهذا بطبيعة الحال ينطبق كليًا على النتاج الإبداعي للأدباء عمومًا، وقد انصبت عناية الشعراء الأقدمين على التراث الإسلامي على وجه الخصوص، وقد أبدعوا أيما إبداع في هذا الجانب، وكان هذا بدوره ملهمًا لاستقطاب الموروثات الثقافية والإبداعية والفكرية وتوظيفها في الشعر، الذي لم يكتفِ بالثقافة الإسلامي أو توظيف الموروث الديني فحسب؛ وإنما استطرد للموروث التاريخي والشعبي والحكايا والأساطير التاريخية القديمة، لذا سنبدأ بالوقوف عند ماهية الموروث وكيفية توظيفه من منظور نقدي.

أولًا: توظيف الموروث في الدرس الأدبي والنقدي الحديث:

الموروث هو كل ما أثر عن الأسلاف وظهرت آثاره على المجتمعات الحاضرة في شتى المجالات الحياتية، فالدين بجملة علومه وكتبه يعتبر من الموروث، والتاريخ كذلك من الموروث، والأدب بكل مشتملاته من الموروث، بمعنى أنه لفظ يعبر به عن "ما خلفه السلف من آثار علمية، وفنية، وأدبية، مما يعد نفيسًا بالنسبة إلى تقاليد العصر الحاضر وروحه"(١)، ونرى أن هذا التعريف أقصر مما يستوعبه المصطلح في حد ذاته، وذلك لأن مصطلح الموروث قد يتعدى عن ذلك النطاق ليشمل كل "ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد، وعادات، وتجارب، وخبرات، وفنون، وعلوم، في شعب

(١) مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان- بيروت، طبعة ١٩٩٧م، ص٥٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي، والإنساني، والسياسي، والتاريخي، والخلقي، ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه"(١)، ونرى أن هذا التعريف لمصطلح الموروث أشمل وأعم من سابقه، لأنه تقصى فيه كل ما يمكن أن يشمله المصطلح وينعكس على النتاج الأدبي أو الإبداعي للوارث، وكذلك وضع له حدًا ونطاقًا لا يتعداه، فلا يكون الموروث موروثًا إلا إذا التصق بجماعة أو شعب من الشعوب، فما يعد موروثًا بالنسبة إليَّ، قد لا يأبه به غيري، والعكس في هذا المقام صحيح، ولا يخرج عن إطاره الحكايا التي تشير إلى الأسطورة أو الخرافة، والتي ظلت باقية بتوظيفها في الأدبي حتى وصلت إلى العصر الحديث.

من هذا المنطلق يمكننا النظر إلى الموروث على أنه المعبر عن القوام الكلي في ماضي كل مجتمع من المجتمعات، "وهذا يعني أن التراث ليس نصوصًا جامدة تحفظ في أمات الكتب القديمة، وليس متحفًا للأفكار نفخر بها، وننظر إليها بإعجاب، ونقف أمامها بانبهار وندعو العالم معنا للمشاهدة والسياحة الفكرية؛ بل هو نظرية للعمل، وموجه للسلوك، وذخيرة قومية"(٢)، لذلك هام الشعراء والأدباء من القديم باستدعاء الموروثات وتوظيفها في أشعارهم، وقد تدرجت النظرة إلى تلك الموروثات الموظفة بتدرج الزمن والعصور، فكان الموروث في الجاهلية ينحصر في نطاق العادات والمعبودات

(١) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، ص٦٣.

(٢) حسن حنفي، التراث والتجديد، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م، ص١١.

وفقًا لمختلف الديانات، والحكم والأمثال والأشعار التي راجت في مجتمعاتهم، وكذلك الأساطير والحكايات التي تناقلوها خلفًا عن سلف، وبعد بعثة النبي صلوات الله وسلامه عليه اختلف الأمر، حيث استحوذ الدين الجديد وتعاليمه على غالبية الشعراء، وتم بذلك نبذ العادات المخالفة لتعاليم الإسلام، حتى جاء العصر الأموي ونهض شعراؤه للتنقيب عن آثار الأسلاف الجاهليين، ودمجوا بينها وبين التعاليم الإسلامية السمحاء، وبهذا كانت النظرة إلى الموروث التي استمرت إلى العصر الحديث.

جاءت جهود الباحثين في هذا النطاق واسعة وغير محدودة بعصر معين، فالموروث الثقافي والديني والتاريخي على وجع الخصوص يصل لأقصى المراحل الزمنية لأبناء اللسان الواحد، كاللسان العربي الذي يصل لقبيلة جرهم القحطانية، لذلك كانت الالتفاتة إلى كيفية توظف الموروثات في دواوين الشعراء، وقد توصل الباحثون إلى نتائج لا يستهان بها في هذا الباب.

وإذا أعملنا النظر في دلائل مصطلحات "التناص وتوظيف الموروث والبناء على الحكاية والتداخل والتعالق"؛ سنستشعر أهميتها القصوى، وذلك من خلال تداخل فائدتها مع العديد من العلوم، فلنا أن ندرك استلهام المصنفات في علوم اللغة العربية والشريعة الإسلامية والتاريخ للنصوص الشعرية، تلك التي تمثل شاهدًا على حدث بعينه، أو تُفيد في تقعيد قاعدة في إحدى العلوم، أو تتعرض لسرد خبر لعله لم يتوثق إلا به، وهذا يعد من قبيل إفادة العلوم من بعضها البعض، وفي الإطار الخاص بالنص الشعري ندرك من خلال تلك المصطلحات أنه يدور –رغم ظهور معالم التطور والتجديد التي تسلطت عليه حديثًا– في دائرة متواصلة متعالقة، يشير أوله إلى آخره،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وجدير بالذكر أن نجد شاعرًا يكوِّن حصيلته الإبداعية من خلال استلهامه للحكايا والأساطير والبناء عليها، ولا أدل على ذلك مما ورد إلينا من شعر أمية بن أبي الصلت(١)، كأحد الشعراء المشهورين في هذا الباب، وغيره العديد من الشعراء استلهموا الحكايا وبنوا عليها نصوصهم، كأبي العلاء المعري في سقط الزند(٢).

وما نخلص إليه في هذا المقام أن التراث هو القوام الأول الملهم لفكر الشاعر والمعزز لقريحته، ولن يستقيم النظم إلا بالاستعانة بتوظيف شيئ من الموروث، وهذا القول يمثل القاعدة العامة للشعراء التي ربما يشذ عنها أفراد منهم، والاستعانة بالموروث في الشعر العربي قضية قديمة مترسخة برسوخ الشعر نفسه، "فقد وصلت القصيدة الجاهلية إلى نضجها عند امرئ القيس الذي يعد صورة معدلة لما قبله من صور الشعر والتشاعر"(٣)، فكانت استعانته الأولى برصد الواقع الموروث من حوله والذي يتمثل غالبًا في الموروث البيئي أو الحكاية والأسطورة(٤)، وعلى هذا كان دأب الشعراء في مختلف العصور، لذلك يتقاطع مصطلح توظيف الموروث جزئيًا مع مصطلح

---

(١) انظر: أمية بن أبي الصلت، ديوانه، تحقيق: عبد الحفيظ السطلي، المطبعة التعاونية- دمشق، ١٩٧٤م.

(٢) يوسف نوفل، مغامرة التلقي، ص٢٣١ وما بعدها.

(٣) مدحت الجيار، الشاعر والتراث، دراسة في علاقة الشاعر العربي بالتراث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- الإسكندرية، ص١١٤.

(٤) نذكر في هذا المقام تبني الناقد المصري أيمن ميدان، حيث تعرض لدراسة التناص بالتطبيق على معلقة امرئ القيس، في إشارة منه لقدم تعالق النصوص وتداخلها وتوظيف الموروث فيها، وهذا ما أشار إليه في نتائج بحثه، انظر: أيمن ميدان، التناص في شعرنا القديم: معلقة امرئ القيس نموذجًا، مجلة العروبة، عدد أكتوبر ٢٠٢٠.

السرقات الشعرية، ويتقاطع كليًا مع مصطلح التناص، وهذا ما سنهدف إلى إظهاره في السطور القادمة.

ثانياً: تقاطع مصطلح توظيف الموروث مع مصطلح التناص والبناء على الحكاية والسرقات الشعرية:

يمكننا أن نستوضح أن هناك تقاطعًا جليًا بين مصطلح توظيف الموروث ومصطلح التناص، والسرقات الشعرية، وما يمكن أن نقر به في هذا المقام هو أن مصطلح توظيف الموروث تعريب لمصطلح التناص، فالمصطلحان يتقاطعان في الكشف عن تعالق النصوص وحواريتها خارج حدود الزمان والمكان، ولكنهما يحتمان ضرورة الارتباط الثقافي وامتداده عبر أزمنة بعيدة، ومن جهة أخرى يتقاطع مع مصطلح البناء على الحكاية، ولكن البناء على الحكاية لا يتوازي ويتساوى كليًا في مضمونه مع أيٍّ من المصطلحات الثلاثة السابقة، وذلك لكون الحكاية إحدى النماذج التي يتكئ عليها الشاعر في بناء نصه الشعري، حيث تمثل الحكاية ما يشير إليه مصطلح الأسطورة، فهي إحدى أوجه التناص، وإحدى الموروثات الحاضرة بقوة في النص الشعري لدى المبدع باختلاف جنسه ولسانه.

١- الموروث الديني والتناص الديني والاقتباس.

بالرجوع إلى كافة التعريفات المتعلقة بكل مصطلح نقف على دلالة واحدة، وذلك باعتبار الموروث الديني يعبر به عن "المعتقدات والممارسات التي تنظم موقف الإنسان وسلوكه تجاه عالم المقدسات، وتزوده برؤية شمولية للكون"[(١)]، فهذا أمر يعبر عنه في أي ثقافة من الثقافات قديمًا

(١) فراس السواح، الأسطورة والمعنى، ص٢١٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وحديثًا، فيمكن تطبيقه على الاعتقادات السماوية أو عباد الأوثان أو أي ديانة أخرى، وذلك لأن الثقافة الدينية هي المنبع الرئيس لبقاء الثقافة والنظر إليها على أنها قوام مادي تتوارثه الأجيال.

يمكن التعبير عن استلهام الموروث الديني في الشعر العربي أو الأدب العربي عمومًا بالتناص الديني، فالمقصود بالموروث الديني في عموم الأدب العربي الإسلامي هو القرآن الكريم والحديث الشريف والآثار الدينية الواردة عن عموم المسلمين منذ البعثة المحمدية إلى العصر الحديث، وهو ما يعرف منذ القدم بالاقتباس، وقد قعد له النقاد القدامى على أنه أحد المصطلحات التي تندرج تحت باب السرقات، وعرفوه بأنه " هو أن يضمّن المتكلم منثوره، أو منظومه، شيئاً من القرآن، أو الحديث، على وجه لا يشعر بأنه منهما"(١)، وهذا بعينه ما يرمز إليه بالموروث الديني، أو التناص الديني.

لذلك يمكن جمع المصطلحات الثلاثة ووضعها في بوتقة واحدة من حيث إنها ترمي لدلالة واحدة وهدف واحد، ولكن إحقاقًا للحق يجب إظهار الريادة والسبق في هذا الباب، مع أن العديد من الباحثين تناولوا هذه القضية وأثبتوا أن النقاد العرب القدامى كان لهم فضل الريادة في هذا الباب، ويبقى للنقاد الغربيين في العصر الحديث فضل إعادة تقديم المصطلح تحت مسمى جديد في لفظه، قديم في مرماه وهدفه.

---

(١) بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر-بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ج٢ص٣٣٢. وانظر أيضًا: أحمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: د. مصطفى الصميلي، المكتبة العصرية- بيروت، ص ٣٣٨.

٢- الموروث الأدبي والتناص الأدبي والتضمين.

وسيرًا على ما ذكرناه ووضحناه في العنصر السابق؛ نجد أن مصطلح التضمين من المصطلحات التي تطرق إليها النقاد العرب القدامى في باب السرقات الشعرية، فـ" التضمين هو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في أواخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل"(١)، وقد اقتصره النقاد القدامى على التمثل بالمعاني أو الأقوال التي طرقها الشعراء الأقدمون، ولكن حقيقة مدلولها يرمي إلى تضمين الشاعر أو الأديب بيتًا من الشعر أو مثلًا أو أي معنى قد تطرق إليه أحد الأدباء قبله، وهو كذلك ما يعبر عنه بالموروث الأدبي أو التناص الأدبي في العصر الحديث.

يعتبر مصطلح توظيف الموروث في النقد العربي الحديث هو ذاته مصطلح التناص الغربي، غير أن هناك بعض الفروقات البسيطة التي لا تخرجنا عما قررناه، وما يؤخذ على النقاد العرب في العصر الحديث هو عدم الابتداء من حيث انتهى أسلافهم من النقاد العرب القدامى، مع ملاحظة تقاطع بعض المصطلحات التي جاءت مندرجة في عباءة السرقات مع توظيف الموروث، ولكنهم آثروا استلهام مصطلح التناص بكل ما يحمله من دلالات، وتطبيقه عربيًا من خلال آليات توظيف الموروث، ولكن هذا لا يُعمي أعيننا عن الصحوة النقدية العربية المعاصرة، التي قننت تلك المصطلحات، وأعادت الأمور إلى نصابها، كعبد المالك مرتاض، ويوسف نوفل، وعيد بلبع، وجدير بالذكر أن الناقد الأكاديمي عيد بلبع كان أكثر النقاد المعاصرين جرأة حين خرج بمؤلف يهاجم فيه من يرجعون نظرية التناص إلى النقاد

(١) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونظمه، ج٢ ص٨٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الغربيين في العصر الحديث، وكان أكثر جرأة حين عنون كتابه بـــ"أكذوبة التناص: مراجعة أسلوبية في السرقات الشعرية"(١).

إن التقاطع بين هذه المصطلحات قائم بصور مختلفة، فتأتي درجة تقاطع التناص مع السرقات؛ هي ذاتها درجة تقاطع توظيف الموروث مع السرقات، وذلك باعتبار السرقات أعم وأشمل من ذينك المصطلحين، فالسرقات هي المرجعية النقدية القديمة لكل المصطلحات المذكورة، التي لا يتعدى ظهورها على الساحة النقدية عشرينيات القرن الماضي، ويعد مصطلح البناء على الحكاية أخص تلك المصطلحات بجملتها، وعليه فإن مصطلح السرقات هو المرجعية النقدية الأولى للتناص وتوظيف الموروث، حتى وإن لم نستطع الجزم بأن باختين استقى تنظيراته حول الحوارية وتعددية الأصوات والتداخل النصي داخل العمل الأدبي من قضية السرقات، ولكن هذا أمر لا يخفى على ناظر ذي لب.

(١) عيد بلبع، أكذوبة التناص: مراجعة أسلوبية في السرقات الشعرية، دار النابغة للنشر والتوزيع- طنطا، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

الخاتمة:

توصلت من خلال رحلتي مع هذا البحث إلى جملة من النتائج التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار، وينتبه إليها النقاد والباحثون في العصر الحديث، أُجملها في النقاط الآتية:

•ظهر مصطلح التناص في المجتمع الغربي على يدي الناقد الروسي ميخائل باختين، وذلك في طيات بحوثه عن الحوارية والتعددية التي أوصلته إلى حتمية تعالق النصوص وتداخلها، وهذا جهد لا يغفل لباختين وتلامذته من بعده، ولكن النقاد العرب القدامى قد تعرضوا لمعالم التداخل النصي وتعالق النصوص، وبذلوا جهودًا مضنية في استنباطه ودراسته دراسة نقدية واعية، لذلك تعد المرجعية العربية لمصطلح التناص بالمفهوم الغربي هو مصطلح السرقات الشعرية.

•قد أظهر تدرج استنباط مصطلح السرقات الشعرية في النقد العربي القديم قدم ظاهرة التضمين والتداخل النصي وتوظيف الأسطورة بقدم الإبداع الشعري ذاته، ولا أدل على ذلك من توظيف الحكم والأمثال والأبيات الشعرية المشهورة عند الشعراء الجاهليين، وكذلك الاقتباس من النصوص الدينية وتوظيف الأحداث التاريخية في الشعر الإسلامي، وشيوع ظاهرة النقائض التي اعتمدت كليًا على المعارضة والإشارة إلى المفاخرة بنتاج السابقين من أولي العصبة، والإكثار من التضمينات.

•يندرج مصطلح التناص تحت مصطلح السرقات الشعرية، وذلك باعتبار قضية السرقات أعم وأشمل مما تشير إليه دلائل التناص، ومن جهة أخرى يتوازى مدلول التناص مع المفهوم الاصطلاحي للتداخل والتعالق

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتوظيف الموروث، وأخيرًا يعد أشمل في دلالته من مدلول البناء على الحكاية، كون الحكاية إحدى أنماط الموروث بوجه عام.

•انصبت عناية النقاد العرب القدامى على النتاج الشعري على وجه الخصوص في بحثهم عن قضية السرقات، وقد أغفلوا مدى شيوع الظاهرة والتطبيق عليها في النتاج النثري عمومًا، وهذا يمثل الفارق بين قضية السرقات الشعرية والتناص، فقد استنبط باختين التناص من خلال عكوفه على روايات دوستويفسكي ورابليه، فاعتمد على إظهار التداخل النصي والتحاور بين النصوص من خلال النتاج النثري لأولئك الأعلام.

•توصلت من خلال هذا البحث إلى أن هناك تعالق واضح وجلي بين مصطلحي التناص والسرقات الشعرية لا يمكن إغفاله، وأهم الأسباب التي أدت بالبعض إلى استلهام مدلول التناص من الغرب هو فترة الركود النقدي والأدبي في العهود العربية الأخيرة خاصة إبان العصر العثماني، بالإضافة إلى الانبهار الذي استحوذ على غالبية النقاد منذ مطلع القرن العشرين بكل ما هو غربي.

•وكذلك لا يوجد أي فروق دلالية بين مصطلحي التناص وتوظيف الموروث، غير أن مصطلح توظيف الموروث يعنى بتعالق النص الفعلي مع الموروث بمختلف أشكاله الإبداعية والثقافية والدينية والتاريخية و...، والتناص يُظهر منظِّروه أن عنايته بالتداخل النصي دون تحديد يقترن بزمن، وإنما يتناول التعالق والتداخل بين النصوص دون إبداء قرائن أو قيود.

•يعد ظهور مصطلح التناص في بدايات القرن العشرين خير دليل لمعارضة أدعياء الحداثة، وذلك لأن دلالة المصطلح تعزز الفطرة الآدمية

والطبيعة البشرية في عدم قدرتها على الانفكاك عن الماضي، ويتعارض كليًا مع دعوى الحداثة والتجديد، التي تنادي بضرورة هجر الماضي بكل مشتملاته، وهذا ما يتناقض مع نظرية التناص التي تعد وثيقة الصلة بإظهار آثار السابقين وتعالقها مع الواقع الأدبي والعلمي.

•وعليه فإني أوصي بضرورة إعادة النظر في المصنفات النقدية العربية القديمة على وجه العموم، بغية الخروج بكل ما أثاره السابقون من مصطلحات وتنظيرات تتعلق بالإبداع الأدبي، وذلك لأن الظاهرة الأدبية تقترن في حد ذاتها بالإبداع الأدبي الذي لا يحده زمان أو مكان، وإن أسباب نهضة الأمة العربية في شتى المجالات لن تتحقق إلا بإعادة قراءة الواقع العلمي والأدبي والنقدي في العصور الإسلامية الزاهية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قائمة المصادر والمراجع:

١. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة- بيروت، الطبعة الرابعة،١٤٠٤ه= ١٩٨٣م.
٢. أحمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: مصطفى الصميلي، المكتبة العصرية- بيروت.
٣. أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية – بيروت.
٤. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر- القاهرة، ط١٩٧٩م.
٥. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ه= ٢٠٠٨م.
٦. أمية بن أبي الصلت، ديوانه، تحقيق: عبد الحفيظ السطلي، المطبعة التعاونية- دمشق، ١٩٧٤م.
٧. أيمن ميدان، التناص في شعرنا القديم: معلقة امرئ القيس نموذجًا، مجلة العروبة، عدد أكتوبر ٢٠٢٠.
٨. بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
٩. تزفيتان تودروف، ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ترجمة: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
١٠. هشام محمد عبد العزيز، التناص في نثر ابن الخطيب، رسالة

ماجستير، كلية دار العلوم- جامعة القاهرة، ٢٠١٥م.

١١. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

١٢. الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم لملايين- بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م.

١٣. حسن حنفي، التراث والتجديد، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

١٤. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل- بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م.

١٥. صالح عبد الله الهزاع، قراءة في كتاب "سيسيولوجيا الغزل العربي"، مقال منشور بتاريخ ٢٤أبريل ٢٠١٢م، على الرابط التالي: http://www.alhazza3.sa/?p=2542.

١٦. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات - القاهرة، ط١ ٢٠٠٢م.

١٧. ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي- القاهرة.

١٨. عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي، البلاغة العربية، دار القلم- الدمشقي، الطبعة الأولى، ١٤١٦ه= ١٩٩٦م.

١٩. عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب- الكويت، سنة ١٤١٨ ه/١٩٩٨ م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢٠. عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في البلاغة، مكتبة الآداب- القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤٢٦ه =٢٠٠٥م.
٢١. عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.
٢٢. عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الخزرجي الزنجاني (ت:نحو٦٦١ه)، معيار النظار في علوم الأشعار، تحقيق: محمد علي رزق الخفاجي، مصر، دار المعارف.
٢٣. عزّ الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار الفكر- بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م.
٢٤. عيد بلبع، أكذوبة التناص: مراجعة أسلوبية في السرقات الشعرية، دار النابغة للنشر والتوزيع- طنطا، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.
٢٥. فراس السواح، الأسطورة والمعنى: دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة- دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.
٢٦. القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد شعره، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البيجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة.
٢٧. مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان- بيروت، طبعة ١٩٩٧م.
٢٨. محمد بلوجي، الشعر العذري في ضوء النقد العربي الحديث؛ دراسة في نقد النقد، منشورات اتحاد الكتاب العرب_ دمشق، الطبعة الأولى،٢٠٠٠م.

٢٩. محمد بن عمران بن موسى المرزباني، الموشح، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار النهضة، الطبعة الأولى،١٩٦٥م.
٣٠. محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب؛ مقاربة بنيوية تكوينية، دار التنوير –بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
٣١. محمد عزام، النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)، اتحاد الكتاب العربي –دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٣٢. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري؛ استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي– بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.
٣٣. المختار حسني، التناص في الإنجاز النقدي، مجلة علامات، ج٤٩، م١٣، رجب ١٤٢٤هـ= سبتمبر ٢٠٠٣م.
٣٤. مدحت الجيار، الشاعر والتراث، دراسة في علاقة الشاعر العربي بالتراث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر– الإسكندرية.
٣٥. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر– بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ه.
٣٦. يحيى بن حمزة، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية– بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ه.
٣٧. يوسف البديعي الدمشقي، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، المطبعة العامرة الشرفية، الطبعة الأولى، ١٣٠٨ه.
٣٨. يوسف نوفل، استشفاف الشعر، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٣٩. يوسف نوفل، مغامرة التلقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٣٠٣١
٢-	Abstract	١٣٠٣٢
٣-	تقديم:	١٣٠٣٣
٤-	التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث.	١٣٠٣٥
٥-	أولًا: التناص:	١٣٠٣٥
٦-	ثانياً: توظيف الموروث:	١٣٠٣٧
٧-	ثالثاً: البناء على الحكاية:	١٣٠٣٨
٨-	رابعاً: السرقات الشعرية:	١٣٠٤٠
٩-	المبحث الأول: التلقي العربي لقضية التناص.	١٣٠٤١
١٠-	المبحث الثاني: قضية السرقات الشعرية بين النقد العربي القديم والحديث، وأهم التقاطعات بينه وبين مصطلح التناص.	١٣٠٤٩
١١-	المبحث الثالث: مصطلح توظيف الموروث وعلاقته بالتناص والبناء على الحكاية والسرقات الشعرية.	١٣٠٥٩
١٢-	الخاتمة:	١٣٠٦٧
١٣-	قائمة المصادر والمراجع:	١٣٠٧٠
١٤-	فهرس الموضوعات	١٣٠٧٤